الحبّ والبترول

نزار قباني

متى تفهم ؟
متى يا سيّدي تفهم ؟
بأني لست واحدةً كغيري من صديقاتك
ولا فتحاً نسائياً يضاف إلى فتوحاتك
ولا رقماً من الأرقام يعبر في سجلاتك ؟
متى تفهم ؟
متى تفهم ؟
أيا جملاً من الصحراء لم يلجم
ويا من يأكل الجدري منك الوجه والمعصم
بأني لن أكون هنا..
رماداً في سجاراتك
ورأساً بين آلاف الرؤوس على مخداتك
وتمثالاً تزيد عليه في حمى مزاداتك
متى تفهم ؟
متى تفهم ؟
بأنك لن تخدرني..
بجاهك أو إماراتك
ولن تتملك الدنيا..
بنفطك وامتيازاتك
وبالبترول يعبق من عباءاتك
وبالعربات تطرحها على قدمي عشيقاتك
بلا عددٍ..
فأين ظهور ناقاتك
وأين الوشم فوق يديك..
أين ثقوب خيماتك
أيا متشقق القدمين..
يا عبد انفعالاتك
ويا من صارت الزوجات بعضاً من هواياتك
تكدسهن بالعشرات فوق فراش لذاتك
تحنطهن كالحشرات في جدران صالاتك
متى تفهم ؟
متى يا أيها المتخم ؟
متى تفهم ؟

بأني لست من تهتم
بنارك أو بجناتك
وأن كرامتي أكرم..
من الذهب المكدّس بين راحاتك
وأن مناخ أفكاري غريبٌ عن مناخاتك
أيا من فرخ الإقطاع في ذرات ذراتك
ويا من تخجل الصحراء حتى من مناداتك
متى تفهم ؟
تمرغ يا أمير *النفط*..
فوق وحول لذاتك
كممسحةٍ..
تمرغ في ضلالاتك
لك البترول..
فاعصره على قدمي خليلاتك
كهوف الليل في باريس..
قد قتلت مروءاتك
على أقدام مومسةٍ هناك..
دفنت ثاراتك
فبعت القدس..
بعت رماد أمواتك
كأن حراب إسرائيل لم تجهض شقيقاتك
ولم تهدم منازلنا..
ولم تحرق مصاحفنا
ولا راياتها ارتفعت على أشلاء راياتك
كأن جميع من صلبوا..
على الأشجار..
في يافا..
وفي حيفا..
وبئر السبع..
ليسوا من سلالاتك
تغوص القدس في دمها..
وأنت صريع شهواتك
تنام..
كأنما المأساة ليست بعض مأساتك
متى تفهم ؟
متى يستيقظ الإنسان في ذاتك ؟

الأسئلة:

حلل البنية الموسيقية لهذا النصّ الشعري من خلال التطرق إلى:

1- **وزن (بحر) هذا النصّ الشعري.**

2- **طبيعة القافية في النص الشعري**

3- **آلية التكرار الّتي يعتمد عليه نزار قباني كثيرا في تأجيج الفاعلية الإيقاعية.**

4- **تقنية التدوير.**

التحليل:

1- حدّد وزن (بحر) هذا النصّ الشعري

وزن هذا النصّ الشعري هو ..... الوافر، وقد استعمله الشاعر بعدّه بحرا صافيا، حيث بنى قصيدته على تفعيلة واحدة هي تفعيلة (مفاعلتن) الّتي يدخلها العصب فتتحوّل إلى مفاعيلن وهذا البحر وصفه البستاني صاحب الإلياذة بأنّه ألين البحور، يشتدّ إذا شددته، ويرقّ إذا رققته، وأكثر ما يجوده به في الفخر والرثاء[1]. وهذا البحر- كما يرى عبد الله الطيب- إنّما يصلح للخطابة، وأكثر ما يجود في الاستعطاف والبكائيات والهجائيات والمدحيات، والنوادر والنكت الّتي تصدر عن الحذق والمهارة، وسرعة الخاطر[2].

وقصيدة الحبّ والبترول قصيدة هجائية، يلائمها هذا البحر الّذي يطوع للشدّة ويناسبها، ولا سيّما إذا كانت التفعيلة معصوبة، لأنّها تجعل الإيقاع أكثر سيولة وجريانا، كما أنّ استخدامه لتفعيلة واحدة سمح له بتحقيق مآربه الشعرية وفق نموذج إيقاعي بسيط .....

2- القافية الّتي بُني عليها هذا المقطع الشعري:

..... إنّ الاهتمام الكبير الّذي يوليه نزار قبّاني للبنية الإيقاعية يجعل القافية تأخذ مركزا استقطابيا في نصوصه الشعرية، وهذا ما نلمسه جليا في قصيدة الحبّ والبترول، حيث كانت القافية البسيطة الموحدة المردوفة هي القافية الّتي بنى عليها الشاعر قصيدته، وكان للروي (**التاء**) المكسورة ووصله (**الكاف**) بوصفهما صوتان منحبسان أثر كبير في إحداث خلخلة إيقاعية وجمالية زادت من شعرية النصّ. وقد حاول الشاعر أن يخفّف قليلا من رتابة هذه القافية الّتي قد تترك بعضا من الملل لدى المتلقّي من خلال كسر هذه الرتابة بتغيير هذا الروي الموحّد بروي آخر هو روي (**الميم**) الّذي جعله يشارك مع القافية عملا تناوبيا، ولم يكن بذلك سوى جسرا إيقاعيا ينتقل فيه الشاعر من مقطع إلى آخر.

---

[1]- سليمان البستاني: إلياذة هوميروس، ج01، 92.

[2] - عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب، ج01، ص407.

3- يعتمد نزار قباني كثيرا على آلية التكرار في تأجيج الفاعلية الإيقاعية. وضّح ذلك.

..... تتجلى داخل هذا النصّ الشعري العناية الكبيرة الّتي يوليها نزار قباني لآلية التكرار، بوصفها أحد أهمّ دواليب الشعرية المعاصرة، ويظهر ذلك عبر أشكال عدّة:

أ- **تكرار الحروف:** يعدّ هذا النوع من التكرار أحد أهم النماذج الإيقاعية الّتي يتجلّى فيها الإبداع الشعري. ولقد برز هذا التكرار بشكل واضح داخل هذا النّصّ الشعري، حيث نجد عددا من الحروف تتكرّر بشكل لافت أفضى إلى تأجيج البنية الإيقاعية. ولعل أكثر هذه الحروف تشظّيا:

☒ - **حرف الكاف**: اختار الشاعر هذا الحرف في بنية قافيته الموحدة، فتكرّر على طول القصيدة، ولم يكتف بذلك، وإنّما راح يكرّره في البنية الداخلية، مثلما تجلى ذلك في المقطع الثالث: بأنك لن تخدرني.. /بجاهك أو إماراتك/ ولن تتملك الدنيا../ بنفطك وامتيازاتك

وكذا المقطع: بنارك أو بجناتك /وأن كرامتي أكرم../ من الذهب المكدّس بين راحاتك/وأن مناخ أفكاري غريبٌ عن مناخاتك

☒ - **حرف التاء:** وشكّل هذا الحرف بنية القافية الموحّدة، وتكرّر أيضا في البنية الداخلية، كما هو في هذا المقطع: متى تفهم؟/ متى يا سيّدي تفهم؟/ بأني لست واحدةً كغيري من صديقاتك/ ولا فتحاً نسائياً يضاف إلى فتوحاتك.

وقد أبان هذا التكرار لحرفي التاء والكاف ولا سيّما في القافية عن إيقاع الحنق والتبرّم الّذي تعيشه هذه المرأة الّتي يتحدّث بلسانها الشاعر

☒ **حرف الميم**: إنّ هذا الحرف الّذي كان روي آخر داخل هذه القصيدة، تكرّر في بنيتها الداخلية بصورة ظاهرة كما هو في هذا المقطع: كما هو داخل هذا المقطع: **متى تفهم؟ متى تفهم ؟ أيا جملا من الصحراء لم يلجم**

☒ **حرف السين والصاد:** تكرر هذا الحرفان بشكل واضح، كما هو داخل هذا المقطع: بئر السبع/ ليسوا من سلالاتك/ تغوص القدس في دمها/ وأنت صريع شهواتك- تنام كأنّما المأساة ليست مأساتك/ متى يستيقظ الإنسان في ذاتك.

وقد لا يتّسع المقام للإشارة إلى الحروف المكرّرة داخل القصيدة ودورها في إغناء البنية الإيقاعية، ومن هذه الحروف حرف **الهمزة** الّذي أحدث بوصفه صوتا حادا منحبسا أثرا كبيرا داخل القصيدة. وفضلا عن الهمزة هناك حرف **الراء** و**الفاء** و**الحاء** و**الخاء**.

ب-**تكرار الكلمات والعبارات:** زاد إشعاع بعض الحروف إيقاعيا من خلال تكرار كلماتها وعباراتها، مثل تكرار عبارة **(متى تفهم)** مرات، ومرّات **(متى)** ومرّات أخرى كلمة**(تفهم)**، وكذا تكرار **(بعت)**، و **(يا من)**، و**(في)** و**(أين)**. وقد كان لهذا تكرار دور هام في تأكيد بعض الدلالات الّتي كان يروم الشاعر إيصالها.

4- **التدوير**:

.....لم يعتمد نزار قبّاني على تقنية التدوير في بناء نصّه الشعري بشكل كبير، وذلك لأنّه ركّز كثيرا على إغناء البنية الإيقاعية من خلال اهتمامه اللافت بنظام القافية، ولا سيّما القافية الموحّدة. فلم يكن التدوير إلاّ في بعض الموضع، وهو تدوير جملي فحسب كما هم ظاهر في هذا الجدول:

أيأ متشقْ/ قِقَلْقدميْ/ ن	كهوْفلْليْ/ لفيْباريْ / س	عللْأشْجا / ر
مفاعلتن / مفاعلتن / م	**فاعيلن / مفاعيلن / م**	**مفاعيلن / م**
ياعبْدنْ / فعالاتكْ	قدْقتلتْ/ مروْءاتكْ	فيْ يأفأ
فاعيلن / مفاعيلن	**فاعيلن / مفاعيلن**	**فاعيلن**
تمرْرغْياْ / أميْرْنْنفْ / ط	على أقدا/مممومسة/هناك	وبأْرسْسبْ/ ع
مفاعلتن / مفاعيلن/ م	**مفاعيلن/ مفاعلتن/ مفاع**	**مفاعيلن / م**
فوْقوحوْ/ للذْذاتكْ	دفن/ تثاراتك	ليْسوْمن/ سلألأتكْ
فاعلتن / مفاعيلن	**لتن/ مفاعيلن**	**فاعيلن / مفاعيلن**
لكْلبْترْوْ /ل	فبعْتلقدْ/ س	تنام
مفاعيلن/ م	**مفاعيلن / م**	**مفاع**
فعْصرْه / علىْ قدمي/خليْلأتكْ	بعْترماْ/ دأمْواْتكْ	كأنْ/ نملْمأْسا/ ةليستبعْ/ ضمأْسأتكْ
فاعيلن / مفاعلتن / مفاعيلن	**فاعلتن / مفاعيلن**	**لتن/ مفاعيلن/ مفاعيلن/ مفاعيلن**